واحد منا أن يسهم بالرأي والتعليق بما يشاء، دون أن يخشى شيئاً ودون أن نخشى نحن شيئاً.

لقد كانت حربنا السادسة مع العدو الصهيوني، بنتائجها، نقطة تحول هامة في مسيرتنا النضالية، ولكنها ليست بالضرورة مصيرية أو فارقة. وحتى لا نتيه بنشوة «التهويل أو التهوين» علينا أن نفرز، بكل موضوعية، بين ما يقال بقصد الإلهاء والاسترخاء لكسب وقت يمضي في التحضير لجولة أخرى ستكون أكثر شراسة وقسوة، وبين ما يقال كنتاج لما أفرزته هذه الحرب من قناعات. وفي الساحة، هذه الأيام، كلا النوعين من الكلام والسيناريوهات: كلام مناور خداع، وآخر جاد وله مصداقية. إذن علينا التمييز بكل الحذر واليقظة.

ومن أهم ما أفرزته هذه الحرب من نتائج، هو أن عدة أطراف، محلية وعربية ودولية، باتت أكثر قناعة بأساسية العامل الفلسطيني الذي تمثله م. ت. ف. بعد أن اجتازت هذه تجربة قاسية استطاعت من خلالها أن تثبت قدرتها الذاتية على الصمود، وقدرتها على تثبيت مصداقيتها، وقدرتها على تثبيت سلطتها. وكلنا يعرف أن هناك، بين الأشقاء والأصدقاء، من كان يشفق على المنظمة من مثل هذه التجربة (وهي ليست الأولى ولن تكون الأخيرة)، كما أنه كان بين الأعداء (ولا يزال) من يراهن عليها. وقد اتضح ذلك من خلال ما أبدته وسائل الإعلام العالمية من اهتمام لاسيما وأن العدوان الاسرائيلي هذه المرة، كان من الناحية الفنية كاملاً؛ حيث استهدف الرأس القيادي في بيروت، ثم قطع وسائل الاتصال والجسور، وانقض على بقية الجسد العسكري قصفاً من كل الجهات وبكل الأسلحة.

والآن، أعود لأذكّر بما سبقت الاشارة إليه حول السيناريو التقليدي في حركة الصراع العربي ــ «الاسرائيلي» الذي يشبه الحلقة المفرغة، أي: عنف مسلح، فهدنة أو وقف لاطلاق النار، فعودة للحديث عن المبادرات والحلول السياسية.

ولقد كان على قيادة م. ت. ف.، هذه المرة، أن تثبت وجودها ورأيها وقرارها في الساحة السياسية بنفس الشجاعة والثبات والصمود التي مارس بها مقاتلوها حربهم ضد العدو. كما أن في الميدان العسكري يجب أن تكون في الميدان السياسي، فالتكامل في النضال ضرورة أساسية، وشرط رئيسي من شروط النجاح. لاسيما وأن الحرب، هذه المرة، اتخذت بعداً نوعياً هاماً؛ حيث استطاع المقاتل الفلسطيني أن يصل بنيرانه الكثيفة إلى العمق الاسرائيلي فهز هذا المجتمع الراكد المتغطرس، والذي اعتاد على أن يسمع عن الحرب مع العرب لا أن يشهد أهوالها. كذلك كان لابد من استثمار هذه «اليقظة» الضميرية التي انعكست في التصريحات والتعليقات المختلفة التي صدرت عن معظم عواصم العالم، وهي تندد بهذه الحرب الارهابية التي لم تفرق بين عسكري ومدني وتجاوزت كل الأعراف الدولية.

□ □ □